عــرض كتــاب

كاتب بيت الحقيقة ياروسلاف تشيرني - السيرة الذاتية

عصام السعيد

اسم الكتاب	كاتب بيت الحقيقة ياروسلاف تشيرني - السيرة الذاتية
تأليف	ييرجينا روجوفا
الناشر	كلية الآداب – جامعة تشارلز ببراغ
سنة النشر	2014
رقم التصنيف الدولي	978- 80- 7308- 527- 8
عدد الصفحات	159 صفحة
مقاس الكتاب	21 x 15 cm

قدمت كلية الآداب – جامعة تشارلز بمدينة براغ عام ٢٠١٤ للمكتبة العربية كتابًا بعنوان "كاتب بيت الحقيقة" بقلم "ييرجينا روجوفا". ويتناول سيرة عالم المصريات الكبير "ياروسلاف تشيرني" الذي كانت له بصمة كبيرة وواضحة في كافة أفرع علم المصريات.

تتناول المؤلفة سيرة هذا العالم الكبير من عدة مناحٍ؛ كنشأته ودراسته لعلم المصريات، وعلاقته بعلماء المصريات سواء من التشيك أو من دول أخرى، مرورًا بفترة إقامته في مصر، واندلاع الحرب العالمية الثانية في ذاك الوقت. كما تناولت أيضًا فترة وجوده في بريطانيا العظمى، وتعاونه مع العلماء الإنجليز، كما أشارت كذلك لأهم أعمال وإنجازات ياروسلاف تشيرني.

وعلى الرغم من أن "ييرجينا روجوفا" هي مؤلفة هذا الكتاب القيم، فإن هذا المُؤَلَّف قد شارك فيه العديد من أصدقاء تشيرني بمساهمات كبيرة ومفيدة من أجل إخراج هذا العمل الذي نعرضه الآن، وهو الأمر الذي يدل على قيمة تشيرني العلمية، التي جعلت الكثيرين يشاركون بالمساهمة بتقديم المصادر والنصوص، أو الترجمة من التشيكية إلى الإنجليزية، وتستمر هذه الجهود حتى وصل هذا العمل إلى أيدينا بالعربية.

وبعد مقدمة المؤلفة وكلمة تقديم من ميروسلاف فيرنر، يبدأ أول فصول هذا الكتاب بعنوان "الحياة في الأراضي التشيكية في مطلع القرنين الـ١٩–٢٠"، ويتناول طفولة ياروسلاف تشيرني، الذي ولد في ٢٢ أغسطس عام ١٨٩٨م في مدينة بلزن غرب التشيك، لأب كان كاتبًا

بمصلحة البريد؛ وهو أنتوني تشيرني، وأم كانت تدعى أنا تشيرني. ولم يتوافر إلا القليل من المعلومات عن الحياة الشخصية المبكرة لتشيرني؛ وذلك من خلال رسائله المتبادلة مع علماء المصريات، إلا أن المؤلفة استطاعت على الرغم من ذلك أن تجمع كمًّا جيدًا من المعلومات، كي تعطينا صورة واضحة عن الحياة الأولى لتشيرني، التي مهدت له الطريق ليصبح أحد أهم علماء علم المصريات في العالم.

كما ترسم لنا الكاتبة صورة عن تعليم تشيرني، وكيفية نبوغه في التعليم، ثم تنتقل إلى حال الإمبراطورية النمساوية، التي كانت التشيك – موطن تشيرني الأول – جزءًا منها، مع إشارات للأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية، التي ساهمت بصورة كبيرة في تشكيل شخصية تشيرني وتوجهاته المستقبلية.

أما الفصل الثاني، فيدور حول "أيام الدراسة والبحث عن مكان في علم المصريات التشيكي". وفيه حددت الكاتبة دافعين أساسيين لاهتمام تشيرني بعلم المصريات؛ الدافع الأول هو مُعلم الصف الرابع الابتدائي، الذي أيقظ اهتمام تشيرني بالآثار، والثاني هو جوستين براشيك من خلال كتاباته حول تاريخ الأمم الشرقية القديمة، ثم أصبح فيما بعد صديقًا لتشيرني. وتنتقل بنا المؤلفة بعد ذلك للحديث عن التحاق تشيرني بكلية الآداب بجامعة تشارلز ببراغ عام ١٩١٧، وسفره بصورة منتظمة إلى برلين للحصول على المراجع التي لم تتوافر في براغ، الأمر الذي أتاح له إمكانية مقابلة بروفيسور علم المصريات أدولف إرمان، وأتاح له أيضًا إمكانية تجميع مادة علمية من المكتبة الإمبراطورية. ثم التحاقه بالقسم الخاص بعلم المصريات عند إدراجه في جامعة براغ عام ١٩٢٠. وتطرقت الكاتبة كذلك إلى عمل تشيرني ككاتب في بنك جيفنو طوال ثماني سنوات، من ١٩١٩ إلى ١٩٢٧؛ حتى يتمكن من إعالة نفسه واستكمال دراسته. وأخيرًا تشير المؤلفة إلى استعانته بكتابات العالم الألماني الكبير أدولف إرمان، وهو الأمر الذي كان بداية لعلاقة كبيرة بينهما لينتهي هذا الفصل بإبراز أولى خطوات تشيرني المهنية حين قرر المشاركة في أعمال الحفائر التي يقوم بها المعهد الفرنسي للآثار الشرقية؛ حيث قدم المعهد له منحة دراسية للمشاركة في هذا العمل.

أما "دور ياروسلاف تشيرني في علم المصريات بالتشيك وعلاقته بليسكا وجابا وغيرهما من علماء المصريات التشيك" فكان محور الفصل الثالث من الكتاب. وفيه عرضت الكاتبة مجموعة من أهم العلماء التشيك في مجال علم المصريات؛ مثل فرانتيشيك ليكسا، الذي تتلمذ لأدولف إرمان، وسبيجلبيرج، الذي كان مدرسًا للرياضيات والفيزياء، ثم تمكن من إقناع السلطات التشيكية بإنشاء أول معهد لعلم المصريات عام ١٩٥٨، كما يعد أيضًا من أهم أساتذة تشيرني. وتُبرِز الكاتبة تدرج وعمق العلاقة بينهما، ومثال على ذلك افتتاحية الخطابات بينهما وتطورها من "البروفيسور المحترم" إلى "عزيزي المحترم". واستعرضت المؤلفة أيضًا مثالاً آخر لعلاقات تشيرني الإنسانية من خلال علاقته بأحد تلاميذه، وهو جابا، ويتضح من المراسلات بينهما مدى عمق علاقتهما سواء في العمل أو على الصعيد الإنساني، حتى إنه كان يقوم بزيارة والدة تشيرني كل يوم أحد لتعويضها عن غياب ابنها. ومن أشهر أعمال جابا؛ العمل بمصطبة الوزير بتاح شبسس، ونشر تعاليم بتاح حتب بالفرنسية، ونشره للنقوش الصخرية في منطقة النوبة السفلى.

ويحمل الفصل الرابع عنوان "مصر الوطن الثالث"؛ حيث كانت أولى زيارات تشيرني إلى مصر عام ١٩٢٥ للعمل بالمعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة IFAO لمدة ٦ شهور، لينتقل بعدها للعمل في الحفائر بمنطقة دير المدينة بالبر الغربي بالأقصر، وهناك كَوَّن صداقات حميمة مع العديد من العلماء الفرنسيين. وقبل وصوله إلى الأقصر، زار تشيرني سقارة والقاهرة وأسوان، وقام بنشر أول الأعمال البحثية، التي لقيت مردودًا إيجابيًّا لدى مجتمع علماء المصريات؛ حيث طلب منه مدير المعهد الفرنسي وقتها الإشراف على دراسة الشقافات

الهيراطيقية المكتشفة في دير المدينة لنشرها في كتالوج الشقافات الهيراطيقية. وتضيف المؤلفة أن تشيرني كان قد وضع لنفسه أهدافًا هامة سعى لتحقيقها، وتتمثل في عمل مخطط لمقابر وادي الملكات ونشر الجرافيتي غير المنشور، وعمل مخطط لمجموعة الجرافيتي الموجودة على صخور وادي الملوك، وكذلك عمل مخطط ووصف لمدينة العمال، التي تم الكشف عنها. ثم تستكمل الكاتبة الحديث عن دور وأعمال تشيرني في مصر بشكل موثق من خلال مراسلات تشيرني التي حصلت عليها.

تستعرض المؤلفة "ياروسلاف تشيرني إبان الحرب العالمية الثانية" في أعمال الحفائر في مصر؛ حيث كان قد خرج من بلاده عام ١٩٣٩م للمشاركة في أعمال أثرية مشتركة بين مصر وفرنسا وإنجلترا. ثم يلتحق بوظيفة جديدة؛ حيث عين كملحق صحفي للحكومة التشيكوسلوفاكية. كما تستعرض مواقف تشيرني كمواطن تشيكي إبان الحرب.

ثم تنتقل الكاتبة إلى الفصل السادس المعنون بـ"ياروسلاف تشيرني في بريطانية العظمى"؛ حيث حاز على اهتمام علماء المصريات البريطانيين؛ وذلك لاتصاله بالسير آلان جاردنر. وكان تشيرني قد توجه لبريطانيا لإتمام تعيينه كأستاذ علم المصريات في كلية لندن الجامعية. وتبرز الكاتبة كم الصعوبات التي واجهته أثناء فترة تعيينه إلى أن بدأ عمله في بريطانيا؛ حيث ألقى محاضرة حول الأوراق والكتب في مصر القديمة، لاقت إعجاب السير آلان جاردنر، الذي اهتم أن يحضر تلك المحاضرة. ثم تكمل الكاتبة سردها عن فترة إقامته في بريطانيا والمشكلات التي واجهته هناك، والتي كان أهمها فقدانه للجنسية التشيكية.

أما الفصل السابع فيدور حول "علاقة ياروسلاف تشيرني بعلماء المصريات في فرنسا والعالم وعلاقته الشخصية الأخرى"؛ وذلك من خلال الكم الهائل من المراسلات بينه وبين هؤلاء العلماء، تلك المراسلات التي وصفتها الكاتبة بـ"الكم الذي لا يصدق"؛ حيث كان يُستعان به كمستشار لعلماء فرنسيين وبريطانيين، فضلاً عن علاقته الطيبة بعلماء أمريكيين وإيطاليين، كل ذلك بالإضافة لمراسلات من مؤسسات وأفراد لمراجعات حول بعض الدراسات الخاصة بعلم المصريات. واستفاضت المؤلفة في ذكر أمثلة لتلك الخطابات، الأمر الذي يعكس القدر العظيم لتشيرني بين علماء المصريات.

أما "أعمال وإنجازات ياروسلاف تشيرني" فكانت محور الفصل الثامن من الكتاب؛ حيث كرس تشيرني حياته تمامًا لعلم المصريات، وهو الأمر الذي أكده كلٌ معاصريه من علماء المصريات. وتعد شقافات موقع الدير البحري، والشقافات الخاصة بالسير آلان جاردنر، وغيرها من الشقافات أهم دراسات تشيرني، فضلاً عن البرديات الهيراطيقية الموجودة في المتحف البريطاني، التي كانت موضع اهتمامه وأبحاثه. كما يرجع الفضل الكبير له أيضًا في إعداد كتاب هام عن قواعد اللغة المصرية القديمة في عصرها المتأخر، وذلك بمساعدة سارة جرول وكريستوفر آير. كما عمل على تسجيل نقوش معابد النوبة وذلك بصحبة زوجته، لتسترسل بعدها الكاتبة في ذكر أهم أعمال هذا العالم الكبير في مجال علم المصريات الذي كرس له حياته.

وأخيرًا تقدم الكاتبة لنا مقالة بقلم يارومير مارك بعنوان "ياروسلاف تشيرني عالم المصريات" تتحدث فيها عن تشيرني وعن شخصيته وأهم أعماله الهامة بشكل شائق يظهر أهمية تشيرني.

وفي النهاية نجد أن هذا الكتاب يقدم لنا السيرة الذاتية لأحد أعظم علماء المصريات التي يجب أن نتوقف أمامها بالفحص والدرس؛ لنعي كيف وضع لنفسه تلك المكانة وكيف كرس حياته من أجل ما أحب – علم المصريات – وكيف سعى الكثيرون لإخراج تلك السيرة لنا، وهو ما يظهر لنا أهمية تشيرني بين علماء ودارسي علم المصريات والمهتمين به.